

The Formation of European Universities in the Middle Ages

Assistant. Lecturer Wurud Hato Hadi

University of Basrah / College of Arts

edw.lect.030@avicenna.uobasrah.edu.iq

Prof. Dr. Meshaal Mufreh Thaher

University of Basrah / College of Arts

meshal.mefreh@uobasrah.edu.iq

Abstract:

Undoubtedly, the university, in its known form throughout all ages, is one of the most significant intellectual contributions produced during the Middle Ages in the realms of science and education. Unlike the ancient times of Greece and Rome, there is no evidence of such a university concept prior to the Middle Ages. The ancient history, despite its advancements and achievements in various aspects of intellectual civilization, did not establish a single university in the sense that we understand today.

These universities became vibrant centers of scientific activity, brimming with energy and constant movement, and they became sources of wonder and admiration. They attracted students from across Western Europe and included among their professors some of the most capable, brilliant, and competent men of the time.

Universities, in the original sense of the word, were simply associations of teachers and students founded for mutual protection and assistance, much like the guilds of craftsmen that emerged with the need to organize life into groups—a common sentiment in Europe during the 12th century. A student coming from a foreign country needed the security and protection that could be obtained by associating with fellow countrymen in the country where they were studying. For this reason, groups of foreign students and teachers organized themselves into several separate universities.

Key words: Europe, Education, Middle Ages, Universities, Cathedral Schools, Religious Institutions.

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى (*)

الباحثة.م.م. ورود هاتو هادي أ.د.مشعل مفرح ظاهر

كلية الآداب - جامعة البصرة

E-mail: meshal.mefreh@uobasrah.edu.iq

E-mail: edw.lect.030@avicenna.uobasrah.edu.iq

الملخص:

لا خلاف أن الجامعة بمعناها المعروف في كل العصور يعد من أهم الآثار الفكرية التي أنتجتها العصور الوسطى في دوائر العلم والتعليم. إذ ليس هناك فيما سبق في التاريخ القديم أيام اليونان والرومان القدماء. ما يدل على وجود مثل هذه الفكرة الجامعية التي عرفت لأول مرة في القرون الوسطى. بل أن التاريخ القديم بكل ما وصل إليه من التقدم والازدهار وما حققه من الرقي في شتى نواحي الحضارة الفكرية لم يكن فيه جامعة واحدة بالمعنى الذي نفهمه. وقد أصبحت تلك الجامعات مراكز علمية تفيض بالحيوية والنشاط والحركة الدائبة، كما غدت أمراً مثيراً للدهشة والإعجاب في الوقت ذاته. إذ اجتذبت إليها الطلاب من كل مكان في الغرب الأوروبي، وكان من بين أسانذتها أكثر رجال العصر مقدره وألمعية وكفاءة. والجامعات بالمعنى الأصلي للكلمة ببساطة هي جمعيات للمدرسين والطلبة تأسست لغرض الحماية والمساعدة المشتركة مثل نقابات الحرفيين التي ظهرت مع وجود المدافع الكبير لتنظيم الحياة في فئات وهو الشعور العام في أوروبا في القرن الثاني عشر. كان الطالب القادم من بلد أجنبي بحاجة إلى الأمن والحماية التي يحصل عليها بالارتباط والانضمام مع مواطنيه في ذلك البلد الذي يدرس فيه. لهذا السبب نظمت مجاميع الطلبة والمدرسين الأجانب أنفسهم سوية في عدد من الجامعات المنفصلة.

الكلمات المفتاحية: أوروبا، التعليم، العصور الوسطى، الجامعات، المدارس الكاتدرائية، المؤسسات الدينية .

* بحث مستل من أطروحة الدكتوراه الموسومة : التعليم في أوروبا خلال العصور الوسطى ١١٠٠-١٤٠٠م

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

المقدمة :

عرفت أوروبا الجامعات في العصور الوسطى ومنذ نهاية القرن الحادي عشر وقد تولدت هذه الجامعات عن مدارس تابعة للكاتدرائيات والأديرة ووجهت جهودها الرئيسية نحو دراسة اللاهوت والفلسفة اللاهوتية وقد نشأت الجامعات طواعية تحت حماية الكنيسة وفي ظل إرشادها تلبية لحاجة المجتمع إلى أطباء ومحامين ورجال دين لذا وفد الطلاب إليها من الطبقتين الوسطى والفقيرة وبانتشار الجامعات انتقلت الحركة الفكرية من الأديرة إلى الجامعات كما أن البحوث العلمية الدينية اللاهوتية قد اكتسبت صبغة فلسفية منطقية وكانت الجامعات في منأى عن سلطة الكنيسة والدولة في فترات نشأتها الأولى وقد استوعبت مناهج الجامعات والكليات الأوروبية في العصور الوسطى ما يرد إليها من العواصم العربية في مجال الفلسفة والطب والرياضيات وكانت العناية بتدريس الكتب التي تلخص أو تشرح منطق أرسطو الذي سيطر على جامعات أوروبا حتى منتصف القرن الخامس عشر.

تشكيل الجامعات الأوروبية:

كان التقدم الفكري الوحيد أثناء بداية العصور الوسطى يتمثل بالمدارس الملحقة بالكاتدرائيات^(١) والأديرة. إلا أن تشكيل الجامعات جاء كحركة تحريرية تسعى لإنهاء احتكار الرهبان والقساوسة وقد حدث ذلك بوجود ثلاث مراحل مختلفة^(٢). أولاً: كان هناك ميل في المدارس الكبرى سواء للمدرسين أو للطلاب لينظموا أنفسهم في هيئات للاهتمام بمصالحهم الخاصة، المصطلح اللاتيني الشائع في العصور الوسطى لهذا النوع من الهيئات هو (الجامعات)، ثانياً: أدى الطلب المتزايد على التعليم العالي إلى التوسيع في عرض التعليم للناس، قاد التنوع في التعليم العالي في المدن التي فيها أكثر من مدرسة واحدة بصورة طبيعية تماماً إلى أن تعمل سوية بحيث إن مدرسة واحدة فيها فروع عدة أو أقسام تظهر للوجود، العلوم التي تطورت هي القانون والطب وحتى العلوم الدينية التي لم تعد فقط تدرس الرب وإنما الكنيسة والعقيدة فيها، بدأت المدارس الكبيرة التي جذبت الطلبة من أماكن بعيدة وكثيرة تُسمى نفسها (المركز الرئيسي للدراسة) لتمييز نفسها عن المدارس الصغيرة. ثالثاً، بعد قرار المجلس الكنسي الثالث في ١١٧٩م، أنهت الكنيسة احتكارها للتعليم عندما ضغطت على القساوسة للتخلي عن حقوقهم الحصرية بإصدار تراخيص التعليم في كل مكان" للمدارس المُعترف بها في أسقفياتهم.^(٣)

إن المؤسسة التعليمية التي نعرفها اليوم باسم الجامعة تطوّرت تدريجياً من كل هذه المعطيات رغم صعوبة القول متى بالضبط حصل ذلك؟

كما أن تحرير التعليم العالي المذكور أعلاه لم يحصل دون نضال وصراع. منذ البداية كان هناك تأكيد بأن المدارس لن تحصل على دعم هام من البابوات ومن الحكام الكثير اللذين جعلوا التعليم العالي

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

رأس الرمح في سياستهم لتحسين نوعية الحكومة والمسؤولين فيها. على أية حال، كانت هناك معارضة شرسة من القساوسة والأحبار والرهبان في الأديرة. إن تناقض مشاركة مدارس الأديرة في التعليم العالي كان سببه جزئياً الرهبان أنفسهم لأنهم كانوا ناقدين بشدة للطريق الذي كان يسير فيه التعليم العالي.^(٤) ذكرنا كيف كان بيرنارد من كلاريفوس (Clarifos) القائد البليغ للنظام الأسقيفي الجديد، أهان أبيلارد (Abelard) ودعاه بالخطر على المجتمع وبأنه كافر ووحش. ولكن بعد ثمان سنوات في عام ١١٤٨م، أساء بيرنارد (Bernard) نفسه إلى مصداقيته بعد أن هاجم مدرس منطق آخر وهو غيلبرت بواتيه (Gilbert Poitiers) لأن بيرنارد (Bernard) أبداً لم يكن قد تعلم بصورة صحيحة في المدارس ولذلك فهو لا يستوعب دقائق الأمور في التحركات الجديدة. كانت بالضبط هذه هي المشكلة. بما أن القانون يمنع الرهبان من حضور المدارس خارج الأديرة، فأنهم قد جازفوا بأن يصبحوا معزولين فكرياً بعدم استجابتهم للتعليمات الجديدة التي تطلبها دراسة الآداب. حلت أوامر الدومنيكان هذه المشكلة بإنشاء مدارسهم الخاصة بهم في المدن الكبيرة مثل باريس وكولونيا التي بقيت وبصراحة خارج الجامعات. لهم مدرسوهم الخاصون بهم ولكن بهذه الطريقة بقيت على تواصل مع ما كان يحدث علمياً. كانت هذه المدارس بالأساس لأعضاء منهم ولكنها حالياً فتحت أبوابها للطلاب الآخرين أصبحت هذه المدارس فيما بعد موقع جولة جديدة من النزاعات مع المدارس العلمانية^(٥).

يمتاز القرن الثاني عشر من القرون الوسطى بأنه شهد نشأة الجامعات بأوروبا الغربية. ويمكن إرجاع العوامل في تأسيسها إلى ما يأتي:

- ١- قبل هذا العهد بدأت الحروب الصليبية فأخرجت الغرب عن عزلته فأتصل بالشرق، وأخذ عنه ما أمتاز به دونه من حرية الرأي والمجاهرة به، ومحبة البحث والنظر. وانتقلت إليه منه الثقافة العربية، ورد إليه ما أوثمن عليه العرب أحقاباً طويلة من آراء أرسطو وحكمة الإغريق.
- ٢- وفي القرنين العاشر والحادي عشر ترك التوتونيون (Teutonic)^(٦) حياة الهجرة والخصام الداخلي، وقبلوا حياة الاستقرار والوئام فكان القرن الثاني عشر بأوروبا عهد هدوء وسلام نسيبين فرغت بفضلها أوروبا للاهتمام بتأسيس حضارة ثابتة الأركان متينة الدعائم، فكان فيما اهتمت به شؤون الثقافة والتربية العالية (تربية الجامعات).
- ٣- نشطت في هذا العهد التجارة الأوروبية وأنشأت الحكومات المحلية وخاصة بالمدن الإيطالية. فبعث ذلك في النفوس اهتماماً بالشؤون الدينية وفي مقدمتها العلوم والمعارف.
- ٤- ظهر في هذه الفترة علماء الكلام فوجدوا الناس متطلعين لمن يرقى بهم سعداً ويدفعهم قدماً، فما لبثوا أن فكوهم من القيود التي غلت بها الحركة الفكرية وأعدوهم لقبول البحوث النظرية والتأملات العقلية^(٧)، كانت جذور الجامعات قد نبتت بهذه العوامل فقد أنشأت مدارس في كافة أنحاء أوروبا

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

كانت في القرن الثاني عشر والقرون بعده شكلت نواة منها نبتت الجامعات، ففي باريس كان هناك مقابل مدرسة كاتدرائية نوتردام (Notre Dame Cathedral) القديمة مدرستان آخرتان على الضفة اليسرى من نهر السين (Seine) وقد جذبتا الكثير جداً من الطلاب وهما مدرسة سانت فكتور (St. Victor) والمدرسة الشعبية العامة (general popularity).^(٨) فضلاً عن ذلك، ظهر عدد من المدارس الصغيرة الكثير منها ليست أكثر من تجمع من الطلبة بمعلم واحد. حتى قبل عام ١١٥٠م، كانت باريس غاية ومقصد للشباب من كل أوروبا. في ١٢٠٠م كان فيها بين (٣٠٠٠) إلى (٤٠٠٠) طالب ربما ١٠% من سكان المدينة. كان هناك تقريباً (١٥٠) مدرس يدرسون هناك أكثر من (١٠٠) منهم يدرسون الآداب و (٢٠) في كل من الطب والقانون و (٨) في علوم الأديان، سميت حقول الدراسة هذه "كليات" لأول مرة في ١٢٢٠م. المدرسين كلهم سواء الذين يدرسون في أحد المدارس أم يمارسون المهنة بصورة خصوصية- وهو مسموح به بالكامل بشرط الحصول على رخصة التدريس- انضموا لتكوين نقابة للمدرسين ولأول مرة أشير لذلك في ١٢٠٨م. ربما تم أنشاؤها لحماية المستويات المهنية والسلوك المهني، ولكن بلا شك أيضاً لتشكيل جبهة موحدة ضد التدخل المحتمل من البابا في باريس ومن مستشاريه^(٩).

علاوة على ذلك، سبب تدفق الطلبة مشاكل متنوعة تتراوح بين تنظيم البرامج التعليمية والشكل الذي يجب أن تتخذه المحاضرات والامتحانات. مما أدى إلى توتر العلاقة في المدينة وجهات الإدارة فيما يتعلق بأسعار السكن والمشاجرات في الشوارع بين الطلبة وأصحاب الدكاكين والأطراف ذات العلاقة كلها (البابا والسلطات العلمانية وأهالي المدن والمدرسين والطلبة) أدركوا بأن قضايا التعليم في المدارس بحاجة إلى تنظيم أفضل. حصل ذلك بالفعل في عام ١٢٠٠م لأنه في تلك السنة تلقت "فئة المدرسين والطلبة" عدداً من الامتيازات الملكية تم إلى حد ما تثبيتها بعد عشر سنوات ومن ضمن هذه الامتيازات كانت هناك مادتان ذات أهمية فائقة جداً وهي: أولاً: يكون المدرسون والطلبة تحت الحماية الملكية من العنف الجسدي وتدمير الممتلكات. ثانياً: وضعوا تحت قانون الكنيسة لو اقترفوا أي خطأ. فقط ستم مرافعة المحاكمات عن جرائم خطيرة جداً في محكمة القانون الملكية. هذا بالحقيقة وضع المدرسين قانونياً على قدم المساواة مع رجال الدين^(١٠).

وبناءً على ما تقدم كانت هنالك حاجة لتعظيم الهيئات التعليمية إذ نظمَ أقدام دستور معروف لجامعة باريس الصادر في عام ١٢١٥م عدداً من القوانين الدستورية التي كانت حيوية لأداء العمل في الجامعة، ومنها أصبح إجراء المساواة مع رجال الدين عُرفاً لكل الجامعات المُعترف بها في أوروبا عندما أكد البابا امتيازات باريس في ١٢٣١م مما يعني أن أعضاء الفئات الجامعية في كل مكان يكونون خارج نظام القضاء الأسقفي والعلماني ولهم منزلة رجال الدين، من الأشياء التي نظمها دستور جامعة باريس في

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

١٢١٥م هي المؤهلات الدنيا للمدرسين وأقل عدد من الفصول الدراسية التي يجب أن يبقى فيها المدرس وتركيبية المناهج الدراسية وقواعد حسن السلوك وخضوع الطلبة للمدرسين وأخيراً وليس آخراً ججازات المدرسين الذين يتوفون. أكدت هذه القواعد أيضاً على الهوية الكيانية للمؤسسات الجديدة وذلك بصناعة أهدافها وقيمها الشائعة المعلنه^(١١).

تشكلت جامعة باريس في تنظيمها الداخلي، بالأساس من اتحاد لأربع كليات كانت كلية الآداب أكبرها، قبل مُنتصف القرن الرابع عشر وصل عدد المدرسين فيها إلى أكثر من ٥٠٠ مدرس، على الأقل خمسة أضعاف العدد الإجمالي للمدرسين في الكليات الثلاث الأخرى (اللاهوت "علوم الدين" والقانون والطب) سويةً، كل ما يتعلق بالمناهج والدروس والامتحانات كان ينظم على مستوى الكلية، يدير الجامعة ككل مجلس يرأسه عميد كلية الآداب وأعضاؤه الآخرون هم العمداء للكليات الثلاث الأخرى^(١٢)، في تلك الأيام لم يكن لجامعة باريس بعد بناياتها الخاصة بها ناهيك عن الحرم الجامعي، كان مجال التدريس دائماً بمثابة مشكلة وكان المدرسون يؤدون محاضراتهم ونقاشاتهم الخلافية في البيت أو في القاعات أو الكنائس أو في غرف فارغة يتم تأجيرها في بيوت خاصة. غالباً، فقط المدرس له كرسي والطلبة يجلسون على القش على الأرض. أول قطعة عقار لجامعة باريس كانت بستان يتم استعماله للترويح^(١٣).

فضلاً عن جامعتي باريس في فرنسا وبولونا في إيطاليا، شهد القرنان الثالث عشر والرابع عشر عدد من الجامعات الأخرى. ككل بين عام ١٢٠٠م و١٤٠٠م حوالي (٧٥) جامعة تم أنشاؤها في أوروبا بعضها كان صغيراً ومتخصصاً مثل المدرسة الطبية في ساليرنو في إيطاليا ومدرسة القانون في أورليانز في فرنسا والأخرى كبيرة وتقدم مختلف المواضيع مثل جامعة باريس واكسفورد^(١٤).

رغم أن الكثير من الطلبة كانوا من الطبقة الأرستقراطية، فقد كانت هناك عوائق قليلة للشباب ذوي الموارد المتوسطة للدخول في الجامعات، كان يجب أن يكونوا من أصحاب الفكر والقراءة وأن يجيدوا اللغة اللاتينية لأنها كانت اللغة المقررة في النظام التعليمي ولكن أجور الدخول في مدارس النحو والجامعات كانت منخفضة ومن البداية كانت هناك منح دراسية للطلبة الفقراء، لقد كان في الجامعات الإيطالية حصراً أستلم الأساتذة أجور الطندريس وذلك يختلف اعتماداً على سمعة وخبرة الأستاذ وكانت الحكومات المحلية تعاقدت معهم لفترات أربع أو خمس سنوات يمكن تجديدها، أيضاً أن غياب الطلاب عن الحضور للمحاضرة كان يعود سلباً على أجور المدرس الجامعي فيتم الخصم من راتبه^(١٥).

وقد كان لجامعات العصور الوسطى أثار أهمها: ^(١٦)

١- كانت أول نموذج للديمقراطية، فقد كانت منبت الحرية الفكرية في مسائل السياسة والكنيسة وأصول الدين. فكثيراً ما عارضت الرأي العام ضد الملك أو الكنيسة على الرغم من أنها كانت من هؤلاء

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

تستمد براءتها وامتيازاتها. ومن هنا كان لجامعات فرنسا وإنكلترا وإسكتلندا حق التمثيل في المجالس النيابية.

٢- أيضاً من هذا الجانب كان بيدها ميزان القوة والفصل في الخصومات التي كانت تحصل بين الملك والكنيسة أو بين أحد هذين والأمة، ويذكر المصدر أن الجامعات انضمت إلى ملك فرنسا ضد الكنيسة في موقفين. ففي موقف ألجأت البابا إلى الاعتذار والتنازل عن آرائه. وفي الآخر انتهى الأمر بعزل رئيس الكنيسة الذي كان موضوع النزاع. وكثيراً ما سمعت كلمة الجامعة في الفصل في مسائل الزندقة والإلحاد وفيما يختلف فيه من مسائل الاعتقاد. وبذلك خفت من حدة ما كان يبديه الباباوات أو ممثلوهم من الآراء المتطرفة.^(١٧)

كذلك امتازت الجامعات بروح جامعية من خلال حرص الأساتذة الشديد على الاحتفاظ باستقلالهم، وعدم السماح للسلطات الرسمية الحاكمة بالتدخل في شؤونهم العلمية ذلك أن وكيل الأسقف أشرف على جامعة باريس وكان له الحق في حرمان أي شخص من خريجي الجامعة من مزاوله مهنة التدريس، ومع هذا لم يستطع وكيل الأسقف أن يفرض سلطانه على أساتذة الجامعة، كما عجز عن التأثير على طريقتهم في منح الدرجات العلمية، أو ضم أي شخص إلى هيئتهم دون رغبتهم. إذ تمتع أساتذة الجامعات بحق رفض إي فرد تحاول السلطات الرسمية إدخاله في هيئة التدريس، وهو الأمر الذي أكسبهم حصانة واستقلالاً كاملاً.^(١٨)

لم يقتصر الأمر على ذلك، وإنما اتسمت الروح الجامعية بفتح أبواب العلم أمام جميع الطلاب من شتى البلاد فكان في استطاعة أي طالب من غرب أوروبا أن يحضر إلى الجامعة التي يرغب تلقي العلم فيها، دون أن يجد مانعاً أو عائقاً يحرمه من ذلك. وأنقسم الطلاب في الجامعات بحسب الجهات التي جاءوا منها، إلى مجموعات كما تذكرهم المصادر المعاصرة، فضمت جامعة باريس مثلاً مجموعات عدة رئيسية من الطلاب، منها من فرنسا و برجنديا وأخرى من إنكلترا. وسكنت كل مجموعة في منازل عرفت باسم الكليات (Colleges) وهي أشبه بنظام الأروقة في الأزهر^(١٩)، إذ أقامت كل طائفة من الطلبة في رواق خاص بها، مثل رواق الشوامل أبناء الشام ورواق التكارنة^(٢٠) لأبناء تكرر^(٢١) من أواسط أفريقيا .. الخ ، وتمتع الطلبة في ظل الروح الجامعية بحرية مطلقة، وغدا لهم حق الإشراف على إدارة الجامعة والمساهمة مع هيئة التدريس في توجيه شؤون الدراسة وتنظيم سير العمل، ويكشف عن تلك الظاهرة نشاط نقابة الطلبة في جامعة بولونيا، إذ أشرفت تلك النقابة على إدارة الجامعة، من حيث اختيار الأساتذة، ودفع رواتبهم، وكثيراً ما تلاعب الطلاب بأرزاق الأساتذة حتى صارت حالتهم سيئة، ثم أن نقابة الطلبة فرضت غرامات على الأستاذ إذا تأخر عن محاضرتة، أو تجاوز الموعد المقرر للمحاضرة، أو ترك نصاً صعباً دون شرحه أو عجز عن إنهاء المقرر الجامعي، وشكل الطلاب أيضاً من بينهم لجنة عرفت باسم لجنة

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

تحذير الأستاذ) ووظيفتها مراقبة سلوك الأساتذة وتبليغ مدير الجامعة عن أية مخالفة يرتكبها أي عضو من أعضاء هيئة التدريس.^(٢٢)

وأخذت الروح الجامعية تجرى على هذا النحو من التجاوب بين الطلاب والأساتذة، حتى جعلت من الجامعة نموذجاً فريداً للحرية الفكرية والتعاون العلمي، وسط تيارات العصور الوسطى وأحداثها الصاخبة، فأنبعث من الجامعات كثير من الأفكار التي دعت إلى هداية الناس، ورسمت لهم على أسس سليمة صحيحة، سبل الخلاص والنجاة، وغدت تقف على قدم المساواة مع البابوية والإمبراطورية في توجيه أحداث المجتمع الأوروبي، وظلت الجامعات ترفي طيلة العصور الوسطى، في مدارج الزعامة والقيادة، حتى قدمت للعصور الحديثة أعظم نبراس، مازلنا نتلمس بواسطته الضوء في العلم والتعليم.^(٢٣)

البعثات الدراسية: الدرجات والمناهج وطرق التدريس:

تستغرق الدراسة في الجامعة في العصور الوسطى وقتاً طويلاً، سبع سنوات كحد أدنى كانت بالأصل هي للتعليم الكامل في الآداب العلمانية الحرة: سنتان لكورسات الدراسات الأولية وثلاثة إلى أربع سنوات للكالوريوس و ثم سنتان أو ثلاث سنوات للحصول على لقب ماجستير آداب مع تأهيل للتدريس ورخصة ملحقة به، والدراسات العليا كانت طويلة أيضاً بالتأكيد فمثلاً دراسة العلوم الدينية كانت تستغرق عشر سنوات، كان بعض الطلاب يتخرجون من الجامعة بعد سنتين و ثم يكملون دراستهم للدبلوم أو البكالوريوس، وتشير نصوص القرن الثاني عشر بأنه حتى دراسة البكالوريوس قد تُقدم فرصاً كبيرة لوضع جيد في المجتمع، وكانت هناك حاجة متنامية لرجال دين متعلمين أكاديمياً وكذلك أطباء ومحامين.^(٢٤)

قادت ترجمة كتب أرسطو اللاتينية إلى تغيرات جذرية في مناهج الآداب الوضعية العلمانية في الجامعات إذ اتخذت شكل فرض ما يسمى بالفلسفات الثلاث على التدريس التقليدي للمواضيع السبعة الخاصة بالفلسفة الطبيعية والميتافيزيقيا (الغيبيات) والفلسفة الأخلاقية، من بين هذه الثلاث تحتاج الفلسفة الطبيعية إلى بعض التفسير إذ إنها تهدف إلى الاستقصاء عن الطرق الأربعة التي بواسطتها تستطيع "الأجسام في الطبيعة" أن تتغير ترابطاً مع "الأسباب أو مبادئ الحركة أو التغير الأساسية في الكون وهي: شكل الشيء (مظهره الخارجي) والمادة المكونة منها والرباط الذي يتغير من خلاله وغاية التغير الحاصل، وهكذا فإن دراسة الفلسفة الطبيعية تضم كل ميادين الفلك والفضاء فضلاً عن الفيزياء والبيولوجيا وعلم النفس.^(٢٥)

بالنسبة للتدريس في العلوم الدينية (اللاهوت)، كان كل شيء يدور حول دراسة الإنجيل والآباء الكنسيين^(٢٦) لأول مرة تم إدخال أمور مساعدة مفيدة في دراسة الإنجيل وتسهيل الحصول والوصول المنتظم لنصوص الإنجيل مثل التقسيم إلى فصول وملاحق المواضيع، كانت هناك مجموعات للمعاني وتحسنت

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

نوعيتها مع ضم الكثير منها في "مجموعة المعاني المقننة" وينسب ذلك إلى الافرد سترابو (Walahfrid Strabo) (٨٠٨م-٨٤٩م)^(٢٧) في حوالي منتصف القرن الثاني عشر، أنتج بيتر لومبارد مجموعة مكتفة لتدريسات الكنيسة الرومانية فيما يتعلق بالأفكار المسيحية، في أربعينيات القرن الثاني عشر، قام الراهب الإيطالي غراتيان ببعض التنظيم في الفوضى في دراسة القانون وذلك بنشره كتابه "خلق التناغم في القوانين المتناقضة". هيمن هذا الكتاب على دراسة قانون الكنيسة بحيث إن الطلبة الخريجين غالباً كانوا يرجعون إليه "كمراسيم".^(٢٨)

كانت مهام التدريس الرئيسية للمدرس هي إلقاء المحاضرات والتعامل مع الأسئلة. في الحالة الأولى، كان يقرأ نصاً أصلياً مخلوفاً - مثلاً مخطوطة لأرسطو - وفي الوقت نفسه يقوم بالتعليق على الفقرات واحدة بعد الأخرى. في الحالة الثانية هناك تعامل منظم مع الموضوع وهناك تمييز بين الأسئلة العادية والأسئلة الخلاقية (حول مواضيع فيها خلاف) والمواضيع الاعتبارية. يتم التعامل مع الأسئلة الطبيعية الاعتيادية بواسطة المدرس نفسه. أثناء النقاشات حول الخلافات، يطلب من طالبين أو طالب وخريج أو مدرس مُبتدئ بتقديم الاعتراضات والإجابات للسؤال موضوع المناقشة وبعد ذلك يقرر المدرس المحاضر الأمر بخصوص الخلاف كما ذكرنا آنفاً في موضوع النقاشات الخلاقية.^(٢٩)

إن الاتجاهات الواقعية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر أدت إلى حركات تجديدية محاولة إصلاح التعليم، ولعل من أوائل المحاولات التي هاجمت الطرق التقليدية التربوية هي التي قام بها بطرس أبيلارد (Peter Abelard). وقد أصبح هذا علم زمانه إذ سيطرت أساليبه التربوية الواقعية على مناهج أكثرية الجامعات الأوروبية فيما بعد. لقد ثار أبيلارد على الجمود والمحافظة والطرق التقليدية في التوصل إلى الحقائق وضمن آرائه في كتابه الاستجواب المعروف (بما له وما عليه) وكانت طريقتة أن الشك يهدي الإنسان إلى الحقيقة وبذلك فهو رائد فلسفة الشك قبل ديكارت بأزمان. واحتوى كتابه هذا على مائة وخمسين سؤالاً.^(٣٠)

لقد طرأ تغير محسوس على طرق التدريس والمناهج عندما تغلغت فرقتا الدومنيكان والفرنسيسكان في مؤسسات التعليم الجامعي. وظهر أساتذة قديرون من بين هاتين الفرقتين وأثر أساتذة الطائفة الأولى كثيراً في جامعة باريس بينما هيمنت الطائفة الثانية على جامعة أكسفورد. ومن أشهر أساتذة الفرقة الأولى توما الأكويني (Thomas Aquinas) ويعد جون دنس سكوت (John Dennis Scott) من أشهر أساتذة الفرقة الثانية، وعمدت الفرقتان إلى تدريس بعض المواضيع الهامة في اللغات الشعبية واعتبرت هذه الظاهرة في حينها ثورة في التدريس لأن اللغة الرسمية والدينية كانت اللاتينية^(٣١).

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

و غاية هؤلاء من التدريس في اللغات الشعبية نشر الدين بين الطبقات الدنيا التي لا تفهم اللغة اللاتينية ومن أجل استئصال دابر البدع الدينية. كما درسوا اللغات اليونانية والعبرية والعربية أيضاً في جامعة باريس بعد أن صادقت البابوية على ذلك الاستحداث سنة ١٣١١م.^(٣٢) وعلى الرغم أن الدراسة بصورة عامة نظرية في تلك الفترة ومع ذلك فلم تهمل الناحية العملية. إذ قدم روجر بيكون (roger bacon) (١٢١٤-١٢٩٤)^(٣٣) مثلاً حين تدريسه بجامعة باريس بعض البحوث العلمية التطبيقية. هذا فضلاً عن إن التعليم كان يتبع الطريقة الاستنتاجية من المبادئ العامة والظواهر الكبرى (الكليات) إلى الجزئيات. وأول محاولة لعكس ذلك الاتجاه قامت بها فرقة الفرنسيين إذ اتبعت طريقة التدريس الاستقرائية التي تؤكد على البدء بالجزئيات والتدرج منها إلى الكليات.^(٣٤)

الحرب بين الدين والعلم:

كان هناك خلاف بين المدرسين العلمانيين والدينيين أساسه نزاع عميق الجذور يسمى أحياناً "الحرب بين العلم والدين"^(٣٥) بدأت هذه الحرب في ١٢١٠م عندما منعت الترجمات الأولى لأعمال أرسطو وكتبه حول الطبيعة من تدريس الفلسفة الطبيعية في مناهج الآداب في جامعة باريس لأن محتوياتها لا تتوافق مع العقيدة الكاثوليكية، ثم تأكيد المنع مرات عدة وبقي لغاية حوالي ١٢٥٥م.^(٣٦) بالنسبة ل (وليم أوف اوكام) (١٣٠٠-١٣٤٩م) (W. Of Ockham)، يرى أن العلوم الدينية ليست علماً استناداً إلى الإثباتات العقلانية التي يدعمها المنطق أو الفلسفة الطبيعية، لذا طالب بفصل العلم عن اللاهوت إذ إنهما مجالان معرفيان مختلفان، يجب أن يوجه العلم نحو المنطق والأشكال "الطبيعية" للبرهان التي يمكن للعقل الوصول إليها بينما يجب توجيه اللاهوت نحو العقيدة وتوجيه العقيدة نحو الوحي المقدس، لا يمكن التقليل من شأن تأثير اوكام على التعليم العالي في نهاية القرون الوسطى، اعتماداً على منهجه الابتكاري، تشكلت المدارس فوراً بعد موته مما تسبب بانقسام فعلي في الكليات في جامعات نهاية العصور الوسطى، من جانب كان هناك "الطريقة الجديدة" التي أيضاً تسمى مدرسة اوكام لأنها تتبع مشروع اوكام للفصل الصارم بين الفلسفة الطبيعية والعلوم الدينية الأكثر روحية وغيبية، وكانت هناك أيضاً "الطريقة القديمة" المرتبطة بكتاب الكوين (Alcuin) (٧٣٢-٨٠٤م)^(٣٧) وتسمح بالكثير من التداخل بين العلوم الطبيعية والعلوم الدينية، هيمن الفرق بين مدرستي التفكير هاتين اللتين كشف أيضاً عن الهوة بين الفرنكيين والدومنيكان على مناهج الآداب في الجامعات إلى غاية القرن السادس عشر.^(٣٨)

إن مؤرخي العلوم مقتنعون بأن الفصل النسبي بين العلم والدين أصبح عاملاً ومؤثراً، يعني هذا أن العلم لم يعد يتدخل بمواضيع خاصة باللاهوت والدوغماتية (الأيدولوجيا)^(٣٩)، ولكن في النهاية لم تحصل القفزة النهائية نحو العلم الحديث لأن الفلاسفة الطبيعيين في القرون الوسطى كانوا محافظين على أفكارهم

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

وفلسفتهم، وأخيراً عادوا مرغمين إلى صلاحية الكنيسة، وقد حدث أكثر من مرة أن تدخلت الكنيسة والبابوية لتحديد برامج الجامعات عن طريق فرض تدريس مواد معينة تخدم الكنيسة وتحقق أهدافها ومصالحها، مثل القانون الكنسي واللاهوت كما تدخلت لتحريم دراسة مواد أخرى تتعارض مع مبادئ الكنيسة ولا تتماشى مع تعاليمها، مثل فلسفة أرسطو.^(٤٠)

إن العلاقة بين العلم والدين جعلت اللاهوت مستمراً في كونه تحليلياً استقصائياً وعقلانياً وليس روحياً وعاطفياً ولكن في الوقت نفسه منع العلم من القفز فوق الأفكار الدينية، بين تطور الفلسفة الطبيعية نحو أن تكون علماً طبيعياً أقل تركيزاً على المسائل الغيبية والدينية، بل أكثر نحو الملاحظة والتجريب والقياس ذات الصلة بالظواهر الفيزيائية الخالصة، ولكن دائماً كانت هناك حالات نادرة و آراء عكسية أو سلبية .^(٤١)

إذ إن الكنيسة كانت تهيمن على حركة التعليم في أوروبا في العصور الوسطى بحكم نيات هذه الحركة في المدارس الأسقفية والمدارس الديرية، وإذ إن المدارس الأسقفية بوجه خاص، كانت الأصل الذي نبتت فيه الحركة التعليمية الجديدة، فقد رأت الكنيسة إلى استمرار أداء دورها في الهيمنة عليها وإخضاعها لسيطرتها، أو على الأقل الإشراف عليها من منطلق أن واجب الكنيسة تعليم الناس ومراقبة ما يدرس لهم^(٤٢)، غير أن بروز الصفات المميزة والمستقلة للجامعات، ونشأة التفكير الحر والتعبير المستقل، جعل الكنيسة توجس خيفة من فقدانها السيطرة على هذه المؤسسات الجديدة، ولهذا فقد رأت الكنيسة أن مجرد تنظيم هذه الحركة وتوجيهها بما يكفل عدم تعريض مصالحها وقوانينها للخطر خير من محاولة كبتها أو قمعها، ولهذا فقد غمست الكنيسة أصبعها في بعض نظم الجامعة ومناهجها^(٤٣). ففي جامعة بولونا تمسكت الكنيسة بضرورة الأسقف على المتقدمين للدراسات العليا في القانون، وفي جامعة باريس كان تدخلها أكثر عمقاً في نظام الهيئة الجامعية فقد ظهر التوحيد بين وظيفتي رئيس الجامعة ورئيس أساقفة المدينة^(٤٤)، وتعدت سلطات أمين الكاندرائية في باريس حد الموافقة على اختيار المرشحين لوظائف التدريس، بل جرى وضع شروط لا بد من الالتزام بها، فلا أحد يحاضر في الفنون في باريس قبل أن يصل إلى سن الحادية والعشرين، ويكون قد تعلم ويمنع المحاضرات على الأقل لمدة ست سنوات قبل أن يحاضر، وكانت الشروط في تدريس اللاهوت أقسى فلا يقل سن المحاضر فيها عن خمسة وثلاثين عاماً، ويكون قد درس على الأقل لمدة ثمان سنوات^(٤٥).

وفي ضوء تلك الأحداث، تدخلت الكنيسة أيضاً في جامعة أخرى هي جامعة تولوز حين رأت أن هذه الجامعة لا تقيم وزناً كبيراً للعقيدة أو الشؤون الدينية والروحية، فاضطر البابا جريجوري التاسع (Pope Gregory IX) (١١٤٥-١٢٤١م)^(٤٦) إلى التدخل وأرغم الكونت ريموند (Raymond) سنة ١٢٢٩م على أن يتعهد بأداء مرتبات أربعة عشر أستاذاً في علوم الدين المسيحي والقانون الكنسي بصفة خاصة يرسلون من باريس إلى جامعة تولوز لمقاومة ما نقض في هذه الجامعة من استهانة بالدين وظهور مبادئ الإلحاد

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

فيها بين الطلاب، خاصة وقد كانت باريس حصناً منيعاً للدين القويم^(٤٧)، وعلى الرغم من كل ذلك، وباستثناء جامعة باريس، فقد تمتعت مختلف الجامعات في أوروبا بقدر كبير من الحرية الأكاديمية جعلها تصبح من مراكز الدراسات التخصصية^(٤٨).

يشتمل العلم على معرفة منهجية ذات صبغة عامة، ويمكن التأكد من صحتها، ومن هنا تتبع أهمية دراسات المنهج التي تزود الباحث بالوسائل الفنية التي تمكنه من التأكد من سلامة الأسس التي تقوم عليها المعرفة، وتختلف معتقدات العلماء كثيراً حول القيم والمعايير وموضوعات ما وراء الطبيعة، إذ كانت المعرفة العلمية يجب التثبت من صحتها، فإن الوسائل المستخدمة في الحصول عليها يجب أن تكون موضع ثقة ويعول عليها، فإذا أدى تطبيق باحثين أكفاء مختلفين لوسيلة أو منهج ما التوصل إلى نتائج مختلفة، فإن تلك الوسيلة أن يمكن التعويل عليها^(٤٩).

لم تتبن الكنيسة علوم ومنهج أرسطو، إلا منذ القرن الثالث عشر أي منذ الوقت الذي استمرت- فيه الكنيسة في إطار الجامعات-، تحتكر تعليماً رسمياً وشاملاً، يشتمل على تفسير العالم الفيزيائي، وأن قوة أرسطو ناجمة عن طابعه الموسوعي والمنهجي، ففي المنطق وعلوم الطبيعة له إجابة على كل شيء، وبصورة دقيقة، متماسكة، منظمة، إذ كانت تصورات العالم العلمية وتصور العصر الذي ظهر فيه الدين المسيحي، يتيح لهذا التذكير فهما أفضل لموقف الكنيسة الوليدة حيال العلم، وقبل أن نرسم من جديد تاريخ هذا الموقف^(٥٠) من العوامل التي حملت المدافعين الأوائل عن الكنيسة على تقديم إيمانهم بشكل له المزيد من النظام والعقلانية، مستخدمين مقولات العلم والثقافة في عصرهم لكي يتيسر فهمهم فهما أفضل فقد بد أو يدركون أن الكنيسة إن لم ترد البقاء طائفة، وأيضاً من الصعب عليها أن تتكلم بلغة معاصريها المنقنين^(٥١). أصبح الفلاسفة والناقمون على الكنيسة يرون في العلم أساساً لتنظيم الحياة، وأن العلوم هي التي تعلم الإنسان كل ما هو خير، وهي التي تزلزل أوهامه، وتفتح له إمكانات جديدة. أعتقد العلماء في التجريبية ودعم المذاهب الكاثوليكية الرومانية من خلال الدراسة العلمانية والعقل والمنطق، وكان الأكثر شهرة (توماس الأكويني) الملقب (طبيب الكنيسة) الذي قاد التحرك بعيداً عن الأفلاطونية والاوغسطينية، نحو الأرسطية، وفي الوقت نفسه يمكن رؤية أسلاف المنهج العلمي الحديث في تركيز جروسستست (Grosseteste) على الرياضيات بوصفها وسيلة لفهم الطبيعة، وفي المنهج التجريبي التي أعجب به روجر بيكون^(٥٢).

إن العداء الذي مارسته الكنيسة النصرانية باسم الدين أثر في الحياة الأوروبية كثيراً فأظهر الناس عداءهم للدين وفقدوا الثقة فيه بسبب اضطهادهم عن طريق رجال الكنيسة أن الدين ينبذ العلم ويعاديه في وقت كانت فيه النظريات العلمية تنتشر وتزداد، ويراهم الناس أكثر صدقاً، وموافقة لما تبحث عنه نفوسهم

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

لأجل ذلك وقع الصراع والتصادم بين الدين الذي تدعو إليه الكنيسة والعلم الذي يعتمد على الحس والتجربة^(٥٣).

أسباب الصراع بين الدين والعلم:

يرجع سبب الصراع بين الدين الكنسي والعلم، إلى أن الكنيسة ترى أن مصدر العلوم، وأنواع المعارف لا بد وأن يكون عن طريقها، وكل من خالف رأيها وأفكارها يعد مخالفاً للدين، ومن ثم يكون صاحب ذلك الرأي المخالف لها مطروداً من الرحمة الإلهية حسب وجهة نظر الكنيسة، ومحكوماً عليه بالإلحاد، فكان لا بد من وقوع الصراع، ويظهر ذلك جلياً في موقف الكنيسة من العلماء ونظرياتهم^(٥٤).

كان لموقف الكنيسة من العلم والعلماء، ونظرياتهم العلمية أكبر الأثر في الصراع الذي حدث بين العلم والدين الكنسي في الغرب، ولا زالت أوروبا تعاني منه حتى هذه اللحظة، فالكنيسة أقرت النصوص التي لا صلة لها بالإنجيل الذي أنزل على عيسى (عليه السلام)، بل ضمنّت الأناجيل المعتمدة لديها بعض النظريات والفلسفات التي تعارض العقول وتناقض بعض النظريات العلمية، وهذا في حين تفتحت أذهان الناس لكثير من المكتشفات، والحقائق التي يدعمها البرهان العقلي ويصرفها الواقع الحسي. يمثل تاريخ الفلسفة، كما يوحي اسمها، اتحاداً بين نظامين مختلفين تماماً، يفرض كل منهما قيوداً شديدة على الآخر. كممارسة في تاريخ الأفكار، يتطلب الأمر فترة زمنية لكي يكتسب المرء فهماً شاملاً لكيفية رؤية المفكرين الذين يقومون بدراسات المشاكل التي يسعون إلى حلها، والأطر المفاهيمية التي عالجوا فيها هذه القضايا وافترضاوتهم وأهدافهم، ومخاطرتهم المستترة^(٥٥).

في ذلك الوقت تهيأ للكنيسة في العصور الوسطى سلطان واسع ممدود الرحاب، روحياً بحكم وظيفتها وسياسياً بسبب ضعف الملوك والأباطرة، وقد أدى ذلك إلى انهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب، وأيضاً ازدياد سلطة الكنيسة، وارتفاع شأن البابا في أوروبا، وسيطرت الكنيسة على المدارس، واحتكرت لنفسها تأويل الكتاب المقدس، وأدانت كلاً من جاهز بحقيقة لم تقرها من قبل، ومن لم يذعن لها يتوجب به اللعنة، وساعدها على ذلك الملوك والأباطرة وخضعوا لسياستها في اضطهاد المخالفين^(٥٦)، هيمنت الكنيسة إذن على كل ميادين البحث العلمي، وفرضت عليها ما تراه حقاً وعملت على فرض آرائها بالقوة مستندة في ذلك على سلطانها الديني والدنيوي، وقد سيطرت في ذلك الوقت الشريعة الكنائسية، أما المدارس التي تم فتحها لتدرس منهجاً للتقدم، قد درسوا الفلسفة فقط التي تعدهم بالشهرة، والدقة، والحدائق، فاشتكى الأبحار والأساقفة مراراً من التغافل عن العلوم والآداب، وحاولوا عبثاً أن يصرفوا الشبان عن درس الشريعة، والفلسفة إلى درس العلوم والفنون غير أنهم وجدوا من كُتاب ذلك العصر من لا يستخف بهم عاقل، وهما روبرت جروسيتيست (Grosseteste)، وتلميذه روجر بيكون^(٥٧).

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

يتضح مما تقدم أن الجامعات عبرت عن أقصى ما بلغته أوروبا العصور الوسطى من نشاط في ميدان الثقافة والفكر، فالتنظيم الجامعي والتقاليد الجامعية والنشاط العلمي للجامعات الأوروبية في العصور الوسطى، تركت جميعها أثراً خطيراً في تطوير أوروبا الثقافي يفوق الأثر الذي تركه أي نوع من أنواع المؤسسات التعليمية التي عرفت أوروبا في تلك العصور، ويكفي أن التنظيم الجامعي في العصور الوسطى كان عالمياً لا قومياً، ففتحت الجامعات أبوابها لطلاب العلم الوافدين من مختلف البلاد الغربية دون تفرقة، لذلك فإن دراسة تاريخ الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى إنما تعني دراسة تاريخ الفكر الأوروبي في تلك العصور، ونقصد بالفكر الأوروبي في تلك الحقبة نشاط الآداب والدراسات المدرسية في الفلسفة واللاهوت وإحياء القانون المدني ونشأة القانون الكنسي وتطوره ومولد العلوم الحديثة كالطب والكيمياء والرياضيات.

الخاتمة :

إن الجامعة في العصور الوسطى لم تظهر من العدم إلى الوجود طفرة واحدة، وإنما كانت هناك عوامل مهدت لها ترجع إلى قرون طويلة قبل نشأتها، وقد بدأت حياتها متواضعة بسيطة، وأخذت في النمو تدريجياً ثابتاً بطيئاً إلى أن كبرت ونضجت وبرزت شهرتها بفضل أساتذة كبار حضروا بها إلى جانب آلاف مؤلفة من الطلبة اجتمعوا لكي ينهلوا على أيدي أولئك الأساتذة مختلف المعارف والعلوم، ومع الزمن توطدت أركانها، واعترفت بها السلطات الدينية والديوية في الغرب وعلى رأسها البابوات والأباطرة والملوك، فصدرت البراءات والمراسيم والإعفاءات تتضمن العديد من الحقوق والامتيازات للجامعة ولأساتذتها وطلابها، وأوقفت عليها الهيئات والعطايا من محبي العلم وطلابه مما ضمن لها حياة مستقرة هادئة، وهياً لرجالها أماكن مناسبة يزولون فيها نشاطهم التعليمي، وعلى هذا يمكن القول بأن الجامعة المعنوية وجدت في المجتمع الغربي في أواخر العصر الوسيط قبل أن توجد الجامعة المادية بمعنى أن اسم الجامعة لم يكن مقروناً في بداية الأمر بالمباني الرحبة الفخمة ذات القباب والأبراج العالية، كما أنه لم يكن مقروناً بما احتوته من فاخر الأثاث، بل كان كيانها يتوقف أولاً وأخيراً على سعة علم الأساتذة الذين يدرسون بها وقيمة محاضراتهم وأهميتها التي كثيراً ما كانت تلقى في الخلاء المكشوف أو في أفنية الكنائس أو في سراديبها، ولقد أثارت هذه الجامعات اهتمامات واسعة في أوروبا من أقصاها إلى أقصاها، كما كان لدى الطلبة رغبة أكيدة جامحة للتزود بالثقافة والعلم، وفي سبيل ذلك قاموا الكثير من المخاطر والصعاب ليتسنى لهم مواصلة دراستهم وتعليمهم.

١- كانت الكاتدرائية دائماً تقوم في مدينة هامة تحيط بها مظاهر المدينة والعمران، وتكون ضخمة المساحة وكبيرة للغاية تعد استخدامات الكاتدرائية أكثر تنوعاً من الكنيسة فهي المكان الذي تلتقي فيها فصول الأبرشية، وكلمة كاتدرائية تعني الكرسي أو العرش دلالةً على المكان الذي يجلس فيه المطران المسؤول، وهو غالباً ما يُستخدم من قبل الكاثوليك لا الأرثوذكس، ولم تلبث الكاتدرائيات أن أخذت تتحول إلى مراكز ثقافية هامة، بفضل ما لها من مكنتات ومدارس وسجلات وموظفين يساعدون الأسقف على الإشراف على نواحي النشاط المختلفة داخل حدود أسقفيته. للمزيد ينظر: نعيم فرح، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، ط٢، دمشق، ٢٠٠٠، ص٢٦٨.

2-Rashdall, The Universities of Europe in the Middle Ages, vol.1. Oxford ,1895,P.4.

٣ - جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى، بيروت، ١٩٨١، ص١٢١ .

4- Rashdall, OP.Cit. Vol.1, P.5.

5-Adelard of Bath, Conversation with his Nephew: On the Same and the Different, Questions on Natural Science and On Birds, trans .and ed. Charles Burnett(Camridge University Press,1998),P.3.

٦ - التوتونيون قبيلة كانت تعيش في عام ١٢٠ ق.م، وعدها الرومان من البرابرة لوحشيتهم في فهم الحياة، إذ كانوا لا يفهمون إلا لغة القوة، ولكن ما لفتني في قصتهم هو أن رغم ترحالهم لمدة ١٩ عاماً، بحثاً عن موطن خصب زراعي ومادي، وبعد وصولهم إلى تلك الأرض على أطراف إيطاليا، فإن خسارتهم في معركتهم مع الرومان عني لهم الأسر والاستعباد، فقرر من تبقى منهم أن يموت بكرامة، فقاموا أولاً بقتل أطفالهم، ومن ثم قتلوا أنفسهم، أما فرسان التوتونيين فهم طائفة عسكرية مسيحية ألمانية، تأسست سنة ١١٩٠ كمنظمة ترميزية لكنها تحولت إلى نمط فرسان المعبد وفرسان الإسبتارية وشاركت في الحروب الصليبية مثلهم وكان لها مقر في عكا، أعترف بها البابا سنة ١١٩١ وفي سنة ١١٩٨ أقاموا نظاماً عسكرياً، أهم مراكزهم كانت في الشام في أنطاكية وطرابلس، سنة ١٢١٠ قتل معظم فرسانهم وقادتهم فعزلوا على عكا ودخلوا في منافسة مع فرسان المعبد والاسبتارية الذين كانت مكانتهم أعلى، كان فرسان التوتون يلبسون أزياء بيضاء عليها صليب لاتيني، غزوا بروسيا سنة ١٢٢٦ وأبادوا سكانها بحجة تحويلهم للمسيحية وأقاموا فيها مستعمرات يسكنها ألماناً، مقرهم كان في مارينبورغ ثم في كونينغسبرغ، في ١٢٤٢ تمردت القبائل البروسية عليهم فشن فرسان التوتون عليهم حملة صليبية تكونت من ٦٠ ألف ألمانياً وبوهيمياً لإنقاذ التوتونيين الذين سيطروا من جديد سنة ١٢٦٠. للمزيد ينظر :

Lucius Annaeus Florus, Epitome of Roman History, 1929, p.16-17.

7-Ridder Symoens, A History of the University in Europe. Vol. I: Universities in the Middle Ages, Cambridge University Press, 1992.P.100.

8-Croby, E.U. Bishop and Chapter in Twelfth- Century England, A Study of the Mensa Episcopalis, Cambridge University Press, 1994, P.192.

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

- 9-Edward Eyre, European Civilization, Oxford University Press,1935 ,P.330.
10-Wim Blockmans and Peter Hoppenbrouwers, Third Edition Introduction to medieval Europe 300-1500,OP.Cit,P.156 .
11-Ridder-Symoens, OP.Cit.P.101.
Wim Blockmans and Peter Hoppenbrouwers,OP.Cit.P.157. 12-
13-Ibid.,P.157 .
14-Painter Sidney ,A History of the Middle Ages: 284-1500,1967, P.470.
15-N. Schachner ,The Mediaeval Universities. New York,1938,p.322.
16-Haskins, Charles Homer.: The Rise of Universities. Ithaca, New York: 16
17- Cornell University Press, 1972.P.46.
18- Rashdall, OP.Cit.,P.282-284.

١٩ - هيربرت فيشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة السيد الباز العريني ومحمد مصطفى زيادة، مصر، ١٩٦٩، ص ١٤٩.

20- A.Eyre,L Europe Occidentale du 888 a 1122,Paris,1930.P.313.

٢١- مملكة التكرور Tukulor هو اسم لشعب كبير من القبائل الحامية أسس مملكة أفريقية قديمة جداً امتدت من غرب السودان إلى سواحل المحيط الأطلسي في أراض شاسعة تزيد عن مساحة الجزيرة العربية والعراق والشام معاً، ضمت تلك المملكة أراضي المناطق المعروفة اليوم سياسياً بموريتانيا والسنغال ومالي ونيجيريا والنيجر وتشاد وصولاً إلى حدود دارفور في السودان ويذهب بعض المؤرخين، خاصة العرب، إلى أن اسم تكرور هو اسم لمدينة على نهر السنغال الحالي وكانت عاصمة مملكة التكرور. للمزيد ينظر:

Henry Louis Gates ,Anthony Appiah,Oxford University Press, 2010،
P.500-501.

٢٢ - هيربرت فيشر ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، المصدر السابق، ص ٢١٢.

23-Rashdell,OP.Cit.Vol.3,P.32.

24- Eyre,OP.Cit,P.332.

25- Haskins, OP.Cit, P.47.

٢٦ - آباء الكنيسة: هو مصطلح أطلق على مجموعة من الأساقفة أو الشخصيات المسيحية الكبيرة خلفت أثراً عظيماً في عقيدة وتاريخ الديانة المسيحية، لا سيما في القرون الخمسة الأولى. إذ يعزان وضع الخطوط العريضة لبنية الكنيسة العقائدية، التنظيمية والرعية، مثل أمبروز (٣٤٠-٣٩٧م) وجيروم (٣٤٧-٤٢٠م) والقديس أوغستين (٣٥٤-٤٣٠م) للمزيد ينظر: بيترسون، جون بيرتران (١٩١٣) الآباء الرسولون في هيربرمان، تشارلز. الموسوعة الكاثوليكية. نيويورك، شركة روبرت البيتون . ص ١٣٨.

٢٧ - راهباً وكاتباً لاهوتياً ولد في جزيرة بجنوب ألمانيا ولقد لقب بـ (Strabo) أي عين الحول أعمال والفريد سترابو هي أعمال لاهوتية وتاريخية وشاعرية للمزيد ينظر:

Stuart Airlie, Power and Its Problems in Carolingian Europe ,New York, 2017,P.97.

28-L.Thorndike,Universty Records and Life in the Middle Ages .New York,
1994.P.201.

29-Wim Blockmans and Peter Hoppenbrouwers ,Third Edition Introduction to medieval Europe 300-1500,OP.Cit,P .550.

30-Leff, Medieval Thought ,St. Augustine to Ockham,Marland,1965,P.107.

31-Wim Blockmans and Peter Hoppenbrouwers, ,OP.Cit,P .550.

32- Crump ,C. and Jacob E. ,The Legacy of the Middle Ages(Oxford 1962),P.274.

٣٣ - روجر بيكون: بعد أن درس بأكسفورد قصد إلى باريس وأقام بها ست أو ثمان سنين، ثم عاد إلى أكسفورد وعلم بها، واضطر إلى الكف عن التعليم؛ لأنه كان يدخل السحر والتنجيم في عداد العلوم التجريبية، ورجع إلى باريس، وظل طيلة حياته مصرّاً على رأيه هذا، ومن ثمة كان موضع ريبة عند رؤساء رهبنته الفرنسيسكية. للمزيد ينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة في العصور الوسطى، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٢٩.

34-Crump and Jacob ,OP.Cit.,P.275.

٣٥ - عندما حصل توماس الأكويني، على الرغم من صغر سنه، على درجة الماجستير، عينه أستاذه مدرس لمادة اللاهوت (العلوم الدينية) وكان مؤيد من قبل فرقة الدومينيكان في جامعة باريس، حتى ذلك الحين كان عدد الكراسي لكل كلية محدوداً، ففي عام ١٢٥٥ م كان لكلية اللاهوت اثنا عشر كرسيّاً، نصفهم التي تم تخصيصها لرجال الدين العلمانيين، وأثنان إلى الدومينيكان، وواحد إلى الفرنسيسكان ، والثلاثة الباقين إلى شرائع باريس العادية، في الربع الأخير من القرن الرابع عشر منحت جامعة باريس آنذاك ما يقرب من مائتي رخصة تدريس في علم اللاهوت، ذهب نصفهم تقريباً إلى الرهبان وربع منها لرجال الدين العلمانيين، فكان تغلغل الرهبان الفقراء في الحياة الجامعية ومحاولتهم السيطرة على تلك الحياة، أوجد خلافاً خطيراً بين هؤلاء الرهبان وبقية أساتذة الجامعات، الأمر الذي أدى إلى إصدار تشريعات عدة وخاصة في جامعة أكسفورد أما في فرنسا فأن أثر هؤلاء الرهبان في نظم الجامعة وتطورها لم يكن أقل أهمية منه في الحياة الفكرية داخل الجامعة وخارجها، للمزيد ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٩٩ ; أندرو ديكسون وايت، ت: إسماعيل مظهر، بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى، مصر، ٢٠١٢، ص ١٩.

٣٦ - ول. ديورانت، قصة الحضارة، مج(٤) ج(٥)، ت: محمد بدران، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٢١.

٣٧ - الكوين : ولد في مدينة يورك York الانكليزية عام ٧٣٥م اشتهر بكونه شاعر ورجل دين وتربوياً له دوراً هاماً في إصلاح الكنيسة الكاثوليكية، ترك أكثر من ثلاثمائة رسالة تعد من أهم المصادر لدراسة العصر الكارولنجي والنهضة العلمية في إيرلندا وانكلترا اعتزل بلاط شارلمان حين تقدم به العمر ليصبح أسقفاً لدير القديس مارتن في مدينة تور الفرنسية حتى وفاته عام ٨٠٤م .

The New Encyclopedia ritannica,Vol.1,p.211.

38- Walsh, James Joseph, The Popes and Science; the History of the Papal Relations to Science During the Middle Ages and Down to Our Own Time, Fordam University Press, New York 1908, p. 19.

٣٩ - الجزمية أو الدوغماتية (أو دوغماتية) هي حالة من الجمود الفكري، إذ يتعصب فيها الشخص لأفكاره الخاصة لدرجة رفضه الاطلاع على الأفكار المخالفة، وإن ظهرت له الدلائل التي تثبت له أن أفكاره خاطئة، سيجارها بكل ما أوتي من قوة، ويصارع من أجل إثبات صحة أفكاره وآرائه، وتعد حالة شديدة من التعصب للأفكار

تشكيل الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى

والمبادئ والقناعات، للمزيد ينظر: برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية: الكتاب الثالث، الفلسفة الحديثة، ترجمة محمد فتحي الشنيطي. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص ٨٧.

40- Walsh, James Joseph.OP.Cit.P.20.

41- Wim Blockmans ,OP. Cit.P.551.

٤٢ - وهيب ابراهيم السمعان ، الثقافة والتربية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١٧٩.

43-Pirenne,Cohen,Foeillon,OP.Cit.P.557.

٤٤ - سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى والنظم والحضارة، ج٢، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٣٤٥.

45-Rowling,OP.Cit.PP.177-178.

٤٦- البابا جريجوري التاسع: اسمه الحقيقي اوجليانو دي كونتي، تقلد الباباوية في ١٩ عام ١٢٢٧م وحتى وفاته، عد ترقيته إلى كرسي البابوية في ختام الانتخابات البابوية عام ١٢٢٧م، قام كونراد فون ماربورغ بتكليف غريغوري التاسع بالقضاء على الهرطقة في كل أنحاء ألمانيا، برعاية غريغوريوس، أصبح كونراد قاتل ترعاه الدولة وقام بمسلسل من الإرهاب في الريف لم يتوقف إلا عن طريق اغتياله في ١٢٣٣م، وما أن لبس غريغوري رداء الباباوية حتى بدا بتوجيه الانتقادات اللاذعة إلى الإمبراطور الألماني فردريك الثاني واتهمه بالمماطلة في تنفيذ وعوده بشن حرب صليبية جديدة على الأراضي الفلسطينية وقد وصل الأمر إلى الحرمان الكنسي وإعلان فردريك خارج عن رحمة الكنسية، وأخيراً أدرك فردريك الثاني أن مصلحته تستدعي القيام بحملة صليبية على فلسطين، فتشككت بقيادته الحملة الصليبية السادسة سنة ١٢٢٨ وانطلقت إلى المشرق. للمزيد ينظر: عبد القادر احمد يوسف، العصور الوسطى الأوروبية ٥٠٠-١٥٠٠، لبنان، ١٩٠٠، ص ٢٤٢.

47- Durant,OP.Cit.PP.921.

48-Rashdall,OP.Cit.V.1.P.284.

٤٩ - ياسين خليل، منطقة البحث العلمي (تحليل من أصول الفكر العلمي والطرق العلمية في ضوء النظريات المعاصرة)، ج٢، بغداد، ١٩٧٤، ص ٣٣.

50-John William draper, History of the conflict between Religion and Science ,Cambridge Universtypress,2009, pp.40-45.

٥١ - ياسين خليل، منطقة البحث العلمي، المصدر السابق، ص ٨١.

52- Edward Grant, A Source Book in medieval Science ,Cambridge: Harvard University Press,1974.P.35.

٥٣ - بول هازار، الفكر الأوروبي، ت: محمد غلاب، مراجعة: ابراهيم مذكور، ١٩٨٥، ص ٨٥.

٥٤ - المصطفى باحو، العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، ط١، المغرب، ٢٠١١، ص ٦٦-٦٧؛ بول هازار ، المصدر السابق، ص ٨٩.

55-John Marenbon, Medieval Philosophy ,Library of Congress Cataloguing in Pulication Data, London and New York, First Published by Routlede, 1998,P.7.

٥٦ - توفيق الطويل، قصة الصراع بين الدين والفلسفة، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٠.

تشكيل الجامعات الاوروبية في العصور الوسطى

٥٧ - يوحنا لورنس فان، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، بيروت، ١٨٧٥، ص٤٥٤، الكتاب الاول;
Gyula Klima ,Intentionality ,Cognition and Mental Representation in Medieval
Philosophy, Fordham University Press, New York,2015,P.9.

المصادر:

الكتب العربية والمعربة :

١. اندرو ديكسون وايت، ت: اسماعيل مظهر، بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى، مصر، ٢٠١٢.
٢. برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية: الكتاب الثالث، الفلسفة الحديثة، ترجمة د.محمد فتحي الشنيطي. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
٣. بول هازار، الفكر الأوروبي، ت: محمد غلاب، مراجعة: ابراهيم مذكور، ١٩٨٥.
٤. توفيق الطويل، قصة الصراع بين الدين والفلسفة، القاهرة، ١٩٧٩ .
٥. جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى، بيروت، ١٩٨١.
٦. جون بيرتران بيترسون، الآباء الرسولون في هيريرمان، تشارلز. الموسوعة الكاثوليكية. نيويورك، شركة روبرت البيتون ، ١٩١٣.
٧. سعيد عبد الفتاح عاشور، الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى، القاهرة، ٢٠٠٧.
٨. _____، أوروبا العصور الوسطى والنظم والحضارة، ج٢، القاهرة، ١٩٥٩.
٩. عبد القادر أحمد اليوسف، العصور الوسطى الأوروبية (٤٧٦-١٥٠٠)، لبنان، ١٩٠٠.
١٠. المصطفى باحو، العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، ط١، المغرب، ٢٠١١.
١١. هيربرت فيشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة السيد الباز العريني ومحمد مصطفى زيادة، مصر، ١٩٦٩.
١٢. ول. ديورانت، قصة الحضارة، مج(٤) ج(٥)، ت: محمد بدران، القاهرة، ١٩٧٦.
١٣. وهيب ابراهيم السمعان ، الثقافة والتربية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٢.
١٤. ياسين خليل، منطقة البحث العلمي (تحليل من أصول الفكر العلمي والطرق العلمية في ضوء النظريات المعاصرة)، ج٢، بغداد، ١٩٧٤.
١٥. يوحنا لورنس فان، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، بيروت، ١٨٧٥.
١٦. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة في العصور الوسطى، القاهرة، ٢٠١٢.

الكتب الأجنبية

- 1-Adelard of Bath, Conversation with his Nephew: On the Same and the Different, Questions on Natural Science and On Birds, trans .and ed. Charles Burnett(Cambridge University Press,1998)
- 2-Croby, E.U. Bishop and Chapter in Twelfth- Century England, A Study of the Mensa Episcopalis, Cambridge University Press,1994
- 3-Crump ,C. and Jacob E. ,The Legacy of the Middle Ages(Oxford 1962),
- 4-Edward Eyre, European Civilization, Oxford University Press,1935
- 5-Edward Grant, A Source Book in medieval Science ,Cambridge: Harvard University Press,1974
- 6-Gordon Leff, Medieval Thought ,St. Augustine to Ockham,Marland,1965
- 7-Gyula Klima ,Intentionality ,Cognition and Mental Representation in Medieval Philosophy, Fordham University Press, New York,2015
- 8-Haskins, Charles Homer, The Rise of Universities. Ithaca, New York: Cornell University Press, 1972.
- 9-Henry Louis Gates ,Anthony Appiah ,Oxford University Press, 2010.
- 10-John Marenbon, Medieval Philosophy ,Library of Congress Cataloguing in Pulication Data, London and New York, First Published by Routlede, 1998.
- 11-John William draper, History of the conflict between Religion and Science ,Cambridge Universtypress,2009.
- 12-L .Thorndike ,University Records and Life in the Middle Ages .New York, 1994.
- 13-Lucius Annaeus Florus, Epitomeof Roman History, W. Heinemann, ltd., G.P. Putnam's Sons, 1929.
- 14-N. Schachner ,The Mediaeval Universities. New York,1938.
- 15-Painter Sidney ,A History of the Middle Ages: 284-1500,London,1967.
- 16-Rashdall ,The Universities of Europe in the Middle Ages, vol.1 Oxford ,1895.
- 17-Ridder Symoens, A History of the University in Europe. Vol. I: Universities in the Middle Ages, Cambridge University Press, 1992.
- 18-Stuart Airlie, Power and Its Problems in Carolingian Europe ,New York, 2017.
- 19-Walsh, James Joseph, The Popes and Science; the History of the Papal Relations to Science During the Middle Ages and Down to Our Own Time, Fordham University Press, New York 1908.
- 20-Wim Blockmans and Peter Hoppenbrouwers, Third Edition Introduction to medieval Europe 300-1500 ,New York,2018.